النهار

الأربعاء 27 أيار 2009 - السنة 76 - العدد 23707

الواقع الجنوبي بعد تسعة أعوام على التحرير [1 من 2]

المنطقة الحدودية أسيرة الإهمال المزمن والهجرة تتنامى

نعيم قاسم: في لبنان ثمة من لا يريد تكريس خيار المقاومة

"خلصوا القصايد وهني يحكوا عن الجنوب، كسروا المنابر هني وعم يعدوا للجنوب. ولا الشهدا قلوا، ولا الشهدا زادوا، اذا جنوبي واقف واقف بأولادو، ويلي عم يحكوا اليوم هني غير اللي ماتوا" هي اغنية لزياد الرحباني، وليست موجهة ضد احد وانما للذكرى. في هذا التحقيق من قسمين: ماذا تقول احزاب المقاومة بعد 9 اعوام على التحرير وكيف استطاعت المقاومة الامساك بزمام المبادرة وتمكنت من تصفية مسؤولين كبار اسرائيليين واعوانهم حسب رواية ضابط رفيع في المقاومة الاسلامية؟

... وفي العام التاسع للتحرير، لم يتحرر الجنوب من الحرمان ولم تمتد نعم الإنماء المتوازن الى ربوعه رغم المتغيرات التي عصفت بالبلاد منذ صباح 25 ايار 2000.

صحيح ان الجنوب، وخلال عقد من الزمن، حظي باهتمام خاص من رئيس مجلس النواب نبيه بري وعبر مجلس الجنوب، وبالتالي حدثت نقلة نوعية نقلت الجنوب من مصاف منطقة محرومة حازت تسميتها الرسمية منذ الستينات وتقرير بعثة ايرفد في عهد الرئيس الراحل اللواء فؤاد شهاب.

لكن شق الطرقات وبناء المدارس ليسا معيارا لرفع الحرمان. فالمدارس في حاجة الى تلامذة يقصدونها. وكي يتمكنوا من ذلك على اهاليهم البحث عن مصدر رزق يؤمن لهم الإستمرار في قراهم، والطرقات لا يسلكها العابر الى مناطق شبه فارغة من اهلها كما هي حال المنطقة الحدودية اليوم. فهذه المنطقة التي يقيم فيها زهاء 300 الف مواطن لم يتبق منهم اكثر من 50 الفاً في قضاء بنت جبيل. فزائر المدينة الحدودية يكتشف بسهولة ان اهالي بنت جبيل الـ50 الفاً لم يقو على الصمود منهم سوى بضعة آلاف ر غم التحرير ومكانة بنت جبيل التي اضحت بعد العام 2000 عاصمة التحرير، واكتسبت صفات اخرى بعد عدوان تموز 2006. وحال القرى المسيحية في قضاء بنت جبيل لا يختلف كثيراً عن احوال القرى الشيعية والسنية، فبلدة عين ابل هجرها معظم سكانها وكذلك دبل، وحدها رميش تمتاز عن نظيراتها بكثافة عدد المقيمين فيها، لأسباب عدة لعل اهمها اهتمام اهاليها بزراعة التبغ وما تتطلبه هذه الزراعة الشاقة من عمل دؤوب يمتد على مدار العام.

وفي عيناتا لا يقيم اكثر من الف شخص من اصل زهاء 15 الفاً. وكذلك في عيترون ومارون الراس وكونين... الخ.

سرد هذه الوقائع ليس اكثر من مؤشر الى عدم توفر فرص العمل في المنطقة الحدودية بعد التحرير، وعدم حماسة المستثمرين لتوظيف رؤوس اموالهم في هذه البلدات الحدودية لأسباب، قد يكون ابرزها امنيا نظراً لما تشكله اسرائيل من خطر دائم على الشريط الحدودي السابق، وايضاً تراجع الحكومات المتعاقبة عن الوفاء بوعودها، وكان ابرزها مقررات الجلسة الشهيرة في ايار 2000 في ثانوية بنت جبيل الرسمية، ورغم صدور قوانين عدة عن مجلس النواب تقضي بدفع التعويضات للمتضررين من الإحتلال، فإن ايا من هذه المقررات والقوانين لم ينفذ حتى اليوم. وزاد في معاناة الجنوبيين حرمانهم التعويضات بعد حرب تموز 2006. والجميع يذكر السجالات الحامية بين المعارضة والحكومة بعد توقف دفع التعويضات.

صحيح ان اعادة بناء المنازل المهدمة هي على رأس الأولويات، لأن المواطن الجنوبي الذي هدم منزله لا يستطيع الإقامة خارج بلدته وليس لديه القدرة على استئجار منزل في ظل الظروف المعيشية الصعبة، لكن مشكلة اخرى لا تزال عالقة وتكمن في عدم التعويض على اصحاب المؤسسات التجارية واصحاب المهن الحرة الذين تضرروا من جراء عدوان تموز. وهؤلاء فقدوا مصادر رزقهم الأساسية، وحتى "حزب الله" لم يدفع لهؤلاء سوى مبالغ رمزية لا تزيد على 10 في المئة من مجموع خسائرهم.

ففي بنت جبيل يحمّل احد اصحاب الصيدليات التي دمرت بشكل كامل في 26 تموز 2006 الحكومة و"حزب الله" مسؤولية التعويض عن صيدليته وخسارته التي تفوق 75 مليون ليرة لبنانية، وهو لا يزال يدفع الفواتير لأصحاب مستودعات الأدوية. ورغم مطالبته المتكررة بالتعويض على خسائره، فإنه لم يلق اذاناً صاغية من احد: لا في الهيئة العليا للإغاثة ولا لدى المسؤولين الحزبيين، وكانت اجابة الاخيرين: "ليس لدينا الامكانيات اللازمة للتعويض على اصحاب المؤسسات الاقتصادية، وعلى الحكومة ان تقوم بواجباتها".

من جهة ثانية، لا يزال اصحاب الآليات ومالكو البساتين الزراعية في انتظار التعويضات التي لن تأتي حتى يقضي الله امراً كان مقضياً.

وفي هذا السياق تقدر خسائر معمل للامصال في مدينة صور بملايين الدولارات، وكان يصدر بضائعه الى الخليج واحترق المعمل بالكامل: وحتى ليس من مؤشر يشير ان التعويض في طريقه الى صاحب هذا المعمل المنكوب بكل ما تعنيه الكلمة.

قاسم: التحرير مسألة وطنية

يرى نائب الأمين العام ل"حزب الله" الشيخ نعيم قاسم ان لبنان كان واقعاً في احتلال اسرائيلي واسع شمل 10 في المئة من الأراضي اللبنانية من خلال منطقة الجنوب، وحصل التحرير في 25 ايار 2000، وهو تحرير لأراض لبنانية يسكن فيها ناس من جميع الطوائف والبلدات. وبصرف النظر عن طبيعة المواطنين الموجودين في الجنوب، فهذه الأرض جزء من لبنان، وبالتالي هذا التحرير هو لكل لبنان بكل ما تعنيه الكلمة ولو حصل برأس حربة المقاومة الإسلامية. وانا اخالف من يقول ان التحرير لفئة دون غيرها، فعلى الأقل ما نسمعه من تصريحات ومواقف تشمل قوى واحزابا سياسية مختلفة ورئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ومواقع اخرى في البلد تظهر ان التحرير هو مسألة وطنية، حتى الذين يختلفون معنا في استمرار المقاومة من جماعة 14 آذار يعترفون بدورنا وبأهمية التحرير، وهم لا يريدون تكريس المقاومة كخيار، لكنهم لا ينكرونها كحقيقة وانجاز، وانا اعتبر ان قيمة التحرير انه الأول من نوعه من العام 1948، اي عندما انشئ الكيان الإسرائيلي وسيترك بصماته على كل واقع المنطقة، وقد بدأت المعالم باستعادة الإنتفاضة حيويتها بعد التحرير بأشهر وانطلاق فعالية المقاومة المسلحة الفلسطينية في مواجهة اسرائيل، وكذلك وضع حد للتنازل العربي امام المقاومة المؤثرة والفاعلة في لبنان وفلسطين".

اما عن الاهمال الذي يعانيه الجنوب فيوضح:" للأسف عندما يدور الحديث عن الإنماء المتوازن تتصدر الحسابات الطائفية والمذهبية والمناطقية لتقسيم الموازنات المقررة من دون الأخذ في الإعتبار مستوى الإهمال التاريخي لبعض المناطق، وعلى رأسها منطقة الشريط الحدودي المحرر التي بقيت محرومة عطاءات الدولة اللبنانية لمدة 22 عاماً، وهذا ما يستلزم قوانين خاصة وموازنات استثنائية وهبات خارجية، تأخذ في الإعتبار المشاريع الحيوية ومنها مشروع الليطاني وكذلك خطة تنمية اقتصادية تمكن الأهالي من البقاء في ارضهم واعمارها. ونحن سنحاول في المرحلة المقبلة ان نعمل بجد في هذا الإتجاه.

ولعل موقعنا كمعارضة في تركيبة السلطة المقبلة سيساعدنا على تحقيق بعض هذه الأهداف. وسنعمل ان شاء الله على ان تكون هناك هبات خارجية واتفاقات خاصة مع بعض الدول لتمويل مشاريع محددة تساعد في الإنماء والإعمار".

مزرعاني: التحرير إقترن بالاهمال

إنجاز التحرير خلاصة قصة معاناة وكفاح ومقاومة شارك فيها عشرات الآلاف من مواطني الجنوب والبقاع الغربي، بل ومن الأغلبية الساحقة من اللبنانيين.

وفي هذا السياق يرى نائب الامين العام للحزب الشيوعي اللبناني والمرشح عن المقعد الشيعي في دائرة حاصبيا مرجعيون سعد الله مزرعاني انه كان للحزب الشيوعي "شرف تقديم مساهمة كبيرة ريادية وفعالة في هذا الانجاز الذي توجته المقاومة الاسلامية بانتصار عام 2000، حين تحرر كل الجنوب المحتل باستثناء مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وجزء من الغجر.

وكان من المتوقع أن تعوض السلطات الحاكمة أبناء تلك المناطق طول معاناتهم على يد سلطات الاحتلال وجيشه، إلا أن النتيجة كانت عكس ذلك. فقد اقترن التحرير بالإهمال والتخلي. والمسؤولية في ذلك تقع على السلطات المتعاقبة قبل عام 2005 وبعد ذلك، وفي كل المراحل، ومن قبل كل الحكومات والمجالس والهيئات والوزارات... الخ".

وينتقد مزرعاني عدم قيام الحكومات بواجبها ويضيف: "نجم عن ذلك تردي وضع المناطق المحررة، حتى بالمقارنة مع الوضع الذي كانت عليه أثناء فترة الاحتلال المديدة. ولقد بلغ الاهمال ان بعض المرافق الرسمية التي كانت تعمل في مرحلة ما قبل التحرير تعطلت بعد ذلك. ونعني المؤسسات الصحية القليلة، والقطاع التربوي حيث تفرغ المدارس الرسمية من تلامذتها وحيث يتداعى التعليم الرسمي الى درجة الانقراض.

ينطبق ذلك أيضاً على وضع البنى التحتية وعلى الوضع الاقتصادي، حيث يتراجع حجم الاقتصاد حتى الى ما دون المستوى الذي كان عليه قبل التحرير.

إن الاهمال قد كان، بالطبع، الوجه الآخر لغياب الخطط التنموية ولسياسات الدعم والتسليف والارشاد، ولمشاريع تطوير القطاعات المنتجة، هذا من دون أن نتحدث عن السياحة والبيئة والثروة الأثرية...

ولقد أدى ذلك الى الإستمرار في إفراغ المناطق المحررة من شبابها في هجرة متصاعدة الى المدينة والى الخارج، مما أفقد تلك المناطق خيرة طاقاتها التي كانت قادرة على إضفاء حيوية نوعية تحتاجها تلك المناطق لبعث الحياة والعافية والازدهار في ربوعها.

أما بعض الحيوية القائمة في مجال البناء فلا فضل فيها إلا لأبناء تلك المناطق من دون سواهم، كذلك ترميم بعض الطرقات التي هي مساعدات خارجية وعربية لبعض ما أصاب البنية التحتية من دمار وخراب على يد القوات الاسرائيلية المعتدية في تموز عام 2006".

ويختم: "إن الانتخابات الحالية مناسبة لرفع صوت الاحتجاج على الذين احتكروا السلطة والنفوذ ومارسوا التمييز والفئوية حتى في مجال الحقوق الأساسية للمواطنين، وخصوصا في مسألة التعويضات عن الدمار والخسائر التي ألحقتها القوات الاسرائيلية المعتدية ضد المواطنين وممتلكاتهم".

قبيسي: الحكومات اهملت الجنوب

من جهته يعتقد عضو المكتب السياسي في حركة "امل" والمرشح عن المقعد الشيعي في دائرة بيروت الثانية هاني قبيسي ان التحرير "حدث مهم وكبير حصل على الساحة اللبنانية بانسحاب اسرائيل عنوة من اراض لبنانية احتلتها لفترة طويلة من الزمن في الجنوب العزيز. ويجب ان يكون هذا اليوم عيداً وطنياً يوازي عيد

الإستقلال، ولكن للأسف ثمة من يرغب في شطب ثقافة المقاومة ومفهومها، وخصوصاً اننا من المؤمنين بهذه المقاومة التي اطلق شرارتها الأولى الإمام موسى الصدر واصبحت ثقافة عامة لجميع الوطنيين على الساحة اللبنانية.

ويضيف: "نشعر ان هناك اطرافا عدة تأثرت بالخلافات الداخلية ونسيت الخطر الإستراتيجي. فالجنوب لا يزال يعاني بحرمانه التعويضات على اصحاب المنازل والمؤسسات الإقتصادية والآليات والمزروعات، وكأن على اهل الجنوب ان يدفعوا الثمن مرتين: الأولى بصبرهم على ظلم اسرائيل ومرة ثانية باستهتار الحكومة.

والمشروع الأهم بالنسبة الى الجنوب هو مشروع الليطاني. ولم يعرف حتى اليوم ما هو السبب الى تأخير تنفيذ هذا المشروع. وندعو الله ان يكون السبب داخلياً مرتبط بالتجاذب الداخلي وان لا يكون بقرار خارجي".

خلال ستة عقود من عمر الصراع العربي الإسرائيلي دأب العرب على التخفيف من هزيمتهم امام اسرائيل وابتدعوا مصطلح النكسة وقبله النكبة لعدم توصيف هزيمتهم العسكرية بحقيقتها، وفي كل مرة كان يدعي العرب انهم انتصروا في مجافاة للواقع. ومع ان اسرائيل اعترفت بهزيمتها في لبنان مرتين، فان هناك من لا يريد ان يصدق ولا يريد تكريس عيد التحرير في الأجندة الرسمية.

ان الجنوب لا يستحق هذا الحرمان وهذا الإهمال، ونسأل الله ان يكون عيد التحرير محطة لإعادة احياء ذاكرة من نسي هذه الإنجازات ولعله يفرج عن المستحقات.

عباس الصباغ

(يتبع جزء ثان)

جميع الحقوق محفوظة - © جريدة النهار 2009